العالم والعلم

النجوم الزهر كانت سدُما حائرات في الزمان الاوّلِ

وحدةٌ كانت سديمًا بيننا
فتجزّأن فرادى وثنى
هكذا اول تكوين الدُّنا
جملة الكون استحالت ضرما لست ادري من دعاها اشتعلي

أبحكم الاتفاق التيها
ام تجلّى فيهِ سرُّ الكهربا
لم يكن ذاك ولا ذا سببا
انما المصدر اضحى مبهما كامنًا تحت حجابِ الازلِ

شعٌ في العالم غاز تيّرُ
ملأ الابعاد منهُ جوهرُ
فهو في عرض الفضا منتشرُ
كان غازاً فالتقى فانتظما كتلاً اغربُ بها من كتلِ

شدّ ما ادهش افكار الملا
ابناموس الرقيّ انتقلا
كان غازاً فتلاقى كتلا
وبسيطاً فترقى انما بهرت في النور عين المجتلي

انجمٌ تشرق فيها الظلمُ
ارضنا منها ولسنا نعلم
حسبوها مركزاً يا وهمنوا
ان هذي الارض من تلك السما لم تكن بالمركز المنعزلِ

مذهب كان الطريق الامثلا
فأتى الآخر ينفي الاوّلا
قيل رأيٌ باطل قلت بلى
عرش بطليوس شيخ الحكما طاح دكّا بعادية هرشلِ

اكبروا الافلاك شأناً كبرا
فهي اجسام ولكن لا ترى
فكرٌ كانت وثيقات العرى
اوليّات دعاها القدما فاذا تفنيدهنّ الاولي

سائرات لم تطأ ما سيفي الثرى
وبسيطات تبذن العنصرا
ركّبوها كيف شاءوا صورا
بعضها من فوق بعض قدما فحوى الاعلى محيط الاسفلِ

وضعوا فلسفة القوم الأولى
زعموا ان المفيض المفضلا
خلق الفعّالَ عقلاً اولا
خالق ثانٍ والاّ لزما كثرة المعلول دون العلل

وعلوم بالغوا فيها سدى
حسبوها للظبايا موردا
كلما ازدادوا رويّ زادوا صدى
نظريات وهل يروي الظما نظر لم يقترن بالعملِ

امة العرب بها قد عملت
لبنها لا تركت ما استعملت
او عداها تركت واستبدلت
بعدها علماً يزين العلما فهي في جهلٍ مخوف الجهلِ

امة قد اشرقت شمس ضحى
نور ماضيها به الليل انجلى
تركتني استجدُّ البَرَحا
اذكر الماضي فاستقري دما مقلةٌ تنظر للمستقبلِ

غرّة العالم في ايّانها
رفع التاريخ ذكرى شانها
آه ما ادنى مدى سلطانها
او كانت يقظةً ام حُلُما دولة الاباء بين الدولِ

تركوا الدين وخانوا عهدهُ
ضيعوهُ لا اضاعوا مجدهُ
وجروا في كل شيء ضدهُ
فتراث الجهل لما اقتسما نالت المرأة ضعف الرجلِ

قتل التقليد افكار الأمم
أوَ كذبٌ غير مأثور القدم
كم أتى الحقُّ من التالي وكم
ترك الاولُ للآخر ما جد في الاخر اصل الاولِ

انما العرفان كالغيث انكفى
كلّ جيل من نداهُ اغترفا
لم يخص الفضل فيمن سافا
ليت طالبس درى ما نجا بعدهُ من يختر اوكليدِ

ما كفى انهمُ قد غرقوا
في علوم فضحت من سبقوا
فاستباحوا الدين لكن اخفقوا
فهو لا يبرح محيّ الحمى ليس بالتالي ولا بالوكلِ

لام في الاديان قوم وهموا
او يخشى الدين مما نقموا
فليكيدوا كيدهم انهمُ
عبسوا في وجهه فابتسما عبث النور باعشى الظلم

ركبوا الوهم اليه سلّما
مرهب المزلق طوداً اعصما
صوّبوا النقد عليه اسهما
ورموهُ وهو اناًى مرتمى عرضاً اخطأهُ رامي المقتلِ

اثر الدين مع العلم اتحد
فهو خير ورقيٌّ ورشد
غاية للعلم والدين تُرد
اخوان ارتضاها رحما غير مقطوع ولا منفصل

ليس بنفي العلمُ ما فوق العيان
وأرى الدين حياةً وجنان
فهو لقوّى واخلاً وحنان
سلوة اليائس بل نور العمى امل الروح وروح الامل

جُهِلَ العالَمُ مما اتلفا
غامض بادٍ تجلّى فاختفى
كان سرّاً مشكلاً فانكشفا
قوة فاعلة قد حكما فعلها في قابلٍ منفعلِ

ما هي القوة ما اصل الذوات
ما هو الواقع ما اصل الحياة
قف فهذا مستراح الشبهات
وخفايا كمنت ان تعلما لن تزال الدهر بل لم تزلِ

يا حياة في البريّات سرت
لست ادري انت في الارض ام انبعثت
ام عليها من سماها انحدرت
تصحب الشهب وتهوى الرُجما يتكوّرنَ عليها من علِ

قرّت الغبراء بعد الانقاد
فشا فيها ثلاث في أحاد
حيوان فنبات فجماد
قد ترقّى عن بسيط ونمى ما عليها من دليّ لدلي

تأمّ في العالم فكرُ الحائرِ
أوُجودٌ لم يكن في الغابرِ
ام وجود من وجود آخرِ
لم يكن مبدأ ذاك العدما فهو في سلسلة لم تفصلِ

خبرّوهُ فاحصًا او باحثا
فاستمرّ الخُلفُ فيهم ما كثا
ففريق وجدوهُ حادثا
وفريق لزّ فيهِ القدَما ظنهُ في العقل لم يستحلِ

النجف محمد رضا الشبيبي